(١)
المقدمـــة

المقدمة

هذا الكتاب ليس (سيرة ذاتية) لسلمان بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود.. فللسير الذاتية خصائصها وطابعها وأدبياتها ولغتها.

إنما هذا الكتاب (اكتشاف الجانب الآخر) من رجل قدر لي أن أقترب منه، وأعرفه معرفة مباشرة موسعة، وأن أتعامل معه في مستوى فكري راقٍ، ملؤه الجد والحرية والتشاور والشفافية.. و(الاختلاف الرفيع) أحياناً[1].

هو أحد أبناء الملك عبدالعزيز الكبار.. نعم.

وهو حاكم إداري لمنطقة الرياض.. نعم.

وهو ذو وزن سياسي مرموق على المستويات: الوطنية والعربية والإسلامية والدولية.. نعم.

بيد أن الجانب الآخر الضخم الذي وددنا أن يشاركنا فيه قارىء هذا الكتاب هو أنه:

---

(١) نقصد بالاختلاف الرفيع: تنوع وجهات النظر - إلى آخر آماد التفكير الحر - في قضايا تحتمل وجهات نظر متنوعة.. أما في الأساسيات فهناك تطابق ووحدة بحمد الله.

(رجل فكر):

أولاً: هو رجل فكر؛ لأنه يفكر في كل شأن يتناوله أو يتعامل معه.. وقد يقال: إن كل إنسان (يفكر) من حيث إن (التفكير) من خصائص هذا الكائن البشري.. وهذا صحيح، ولكننا نقصد النوع الآخر من التفكير.. نقصد (التفكير الخلاق ذا الرؤية الواضحة المتسمة بالمبادأة والاستقلال).. وضرب المثل موكّل دوماً بتوضيح المعنى وتحديده.

قبل سنوات ثمان ماج العالم بظاهرة استقبال القرن الحادي والعشرين، وكان لذلك دويّ شديد في وسائل الإعلام وعلى ألسنة ساسة وقادة كثر من كل جنس وملة.

جرى حديث بيننا في هذا الأمر، فمكث غير بعيد ثم قال: هذه ظاهرة مبالغ فيها، لا تلبث أن تتلاشى على الرغم مما يحيط بها من أضواء واحتفالات. والرأي عندي هو أن المهم هو الاستعداد للمستقبل على الأرض وفي الواقع: بالمعرفة والعلم والعمل والإنجاز، وبالاستفادة من تجارب الماضي: القريب والبعيد.. وهذه مهمة دائمة لا تتوقف في نهاية القرن العشرين ولا في بداية القرن الحادي والعشرين.

وفـي هذا دلالة علـى (الرؤية الفكرية المسـتقلة).. ودلالة على (التفكير العميق) في الحدث أو المناسـبة: التفكير الذي يعطي نفسه الحق والحرية في مخالفة ما عُدَّ (مسلّمات).. وما هو بمسلمات عند التحقيق.

ثانيـاً: هو (رجـل فكر) من حيث متابعـة (حركة الأفكار) فـي الوطـن العربي والعالم الإسـلامي والعالم الإنسـاني، فلا تـكاد مدرسـة أو اتجاه فكري له وزنه واعتبـاره في عالمنا هذا - ولا سـيما العالم العربي الإسـلامي - إلا لهذا الرجل معرفة به: في هذه الصـورة أو تلك.. مثال ذلك الحركات والاتجاهات الفكرية: القومية والدينية واليسارية والوطنية.

ثالثـاً: هو (رجل فكر)؛ لأن لديه (أفـكاراً إبداعيةً) وفيما يأتي أنموذجان منها:

١- نشأ جدال في المملكة العربية السعودية حول (خصوصية) هـذه البلاد، وتلخصـ هذا الجـدل أو تركز فـي اتجاهين رئيسين.

أ- اتجـاه يغلـو فيقول بـ (الخصوصـية السـعودية) في كل شيء، لكأن السعوديين (نوع من الملائكة) يعيشون في شبه الجزيرة العربية، على كوكب الأرض.

ب- اتجـاه يغلـو - أيضـاً - فينفي (الخصوصـية) بإطلاق مراغمة لحقائق معروفة قام عليها عشرات الأدلة.

أين إبداع سلمان بن عبدالعزيز في هذه القضية؟

لقد تمثل إبداعه في تجاوز هذين الاتجاهين.. وفي الانتصار للحقيقة والعقل والاعتدال.. وفي نفي (الملائكية).. وفي تقرير (الخصوصـية الحقة) في الوقت نفسه.. يقول: «مرفوضة هي المقولـة التي تقول: ليس في المملكة العربية خصوصـية؛ ففي الحقيقة إن بلادنا مثل سـائر بـلاد أرض الله من حيث التراب والبحر والجبال، ولكن الله خصـها بخاصية مميزة بأن جعلها موئلاً لبيته الحرام، ومهبطاً لوحيه، ومنطلقاً لرسـالته، ومبعثاً وموطناً لنبيه صـلى الله عليه وسـلم، ومهوى أفئدة المسلمين. أعطونـي مكاناً آخر يتوجه إليه المسـلمون جميعا في كل مكان في اليوم خمس مرات في صـلاتهم. ولذا يجب علينا شكر هذه النعمة والمحافظـة على هذه الخصوصـية المميزة لنا، والتي تحملنا في الوقت نفسه مزيداً من المسؤوليات».

وهذا طرح فكري ملؤه الوضوح والشجاعة الأدبية والإبداع:

الثاوي في الإمساك بـ (ميزان الاعتدال) الرافض للغلو في ذينك الاتجاهين.

ولـم يكـن الرجـــل - وهو يَفْصِـل فكرياً في هذه القضـية الكبيـرة الدقيقـة - يصـادر حرية المناقشـة والتنـاول؛ فمن المعروف عنه أنه نصير حرية التعبير المسؤولة.. وإنما كان:

- يصـحح المنهـج الـذي ينبغـي أن يُلتزم فـي هذه القضـية ونظائرها، فالحرية بلا منهج مجرد لغو!!.. ولا شـك في أن قيمة الكلمة أرفع وأعظم من أن تكون مجرد لغو.

- يستند إلى مرجعية لا يخترقها شك في تقرير (خصوصية) هذه البلاد.. لا جرم أن السـعودية تتسـاوى مع بلدان العالم الأخرى في (الجغرافيا الطبيعية) التراب والجبال والبحار إلخ، فليس ترابها ذهباً خالصـاً أو مسـكاً فواحاً ولا بحارها عسلاً مصفى.. ويتساوى السـعوديون مع سائر البشر؛ فهم ناسـ من الناس: منهم المصـيب ومنهـم المخطئ.. منهم الأخيـار ومنهـم الأشـرار.. منهم الصـالحون، ومنهم دون ذلك فالسـعوديون ليسوا (شـعب الله المختار)، كما يدعي أقوام آخرون: من عند أنفسهم.

والمرجعيـة العلمية اليقينية التي أسـتند عليها هي الكتاب والسـنة فهـذان المصـدران يُنشـئان اليقيـن ويثبِّتانـه بـ (الخصوصـية الحقـة) المجردة من غلـو الطرفين:.. ومن البراهين على هذه الخصوصية:

أ - وجود مكة التي حرمها الله - جل ثناؤه - يوم خلق السموات والأرض:

■ ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ... ﴿٩١﴾﴾[1].

■ «وفي البخاري ومسلم - بسندهما -: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة**»، وليس ذلك إلا لهذه البلاد: خصوصية وحيدة لا تتكرر في غيرها.

ب - تنزل القرآن فوق هذه الأرض: ابتدأ بـ (اقرأ) في غار حراء في مكة، ثم تتابع نزوله في مكة والمدينة.. وليس ذلك إلا لهذه البلاد: خصوصية وحيدة لا تكرر.

ج - ابتعث النبي الخاتم فوق هذه الأرض ومن بين أهلها ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾[2] وليس ذلك إلا لهذه البلاد: خصوصية وحيدة لا تتكرر.

د - لا تصح صلاة المسلم - في أي مكان في العالم - إلا باستقبال الكعبة المشرفة في البيت الحرام: ﴿وَحَيْثُ

(١) النمل: ٩١. (٢) الصف: ٢.

مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ... ﴿١٥٠﴾ ﴾[١].. وليس ذلك إلا لهذه البلاد: خصوصية واحدة لا تكرر.

هـ - لا يؤدي المسلمون فريضة الحج إلا هاهنا في مكة.. فهذه البلاد مفتوحة أبداً بالنص القرآني المحكم: ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾[٢].. وليس ذلك إلا لهذه البلاد: خصوصية وحيدة لا تكرر.

٢- الأنموذج الثاني من (الإبداع الفكري) لسلمان بن عبدالعزيز: أنه صدع بحقيقة كبرى جامعة لخصت علاقة المسلمين بالله وبالحياة والكون في عبارة واحدة هي قوله: «لنفكر ونبدع في ظل لا إله إلا الله».

وإذا شاء أحد أن يسمي ذلك: (المفهومَ التنويري الرئيس) أو (النظرية المعرفية الكاملة) فإن تسميته صحيحة من الناحية الموضوعية.

فهذه النظرية نفت بحسم - بادئ ذي بدء - التناقض المتوهم بين (الدين) و(الإبداع).. فثمة ناس من الناس لا

(١) البقرة: ١٥٠.

(٢) الحج: ٢٧.

يتصورون الدين إلا مجموعة (مفاهيم جامدة) تدعو الناس إلى الجمود.. ولما كان قوام الإبداع هو: الحركة والتفكير والتفتح والتجدد المستمر، فإن الدين والإبداع - من ثم - نقيضان لا يجتمعان عند من يحملون هذا التصور عن الدين.

ولذا كان أول قطاف نظرية (الإبداع في ظل لا إله إلا الله) هو إماطة التناقض المتوهم بين الدين والإبداع.

■ وهذه النظرية ترسخ الاقتناع الحر بأن التوحيد نفسه إنما يتأسس على (الإبداع الفكري).

فالطريق الحق إلى التوحيد الحق هو النظر النابه والتفكير اللماح في الآيات الكونية (البديعة) في السماء والأرض: في قطرة الماء.. وفي التنوع البشري.. وفي حركة الكون وانضباطها واطرادها وفق نظام محكم لا تتخلف سننه، ولا تضطرب قوانينه، ولا يطيش ميزانه.. وفي النبات المتنوع البذور والحقول.. وفي الحدائق ذات البهجة المزدانة برواء الورود وجمالها، ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ... ﴿٦٠﴾﴾[1].

(١) النمل: ٦٠.

إن النظر النابه - المقترن بتفكير ذكي لمّاح - في الحدائق ذات البهجة مدخلٌ عقلاني موضوعي إلى التوحيد وحافز على خلوصه.

إن تأسيس التوحيد على (الابداع الكوني) يكسب المؤمن مراناً فكرياً خصيباً، ويعوّد مَلَكَته الفكرية على (الإبداع).. وهذا هو أحد الأسباب العميقة الأساسية التي تفسر النهضة الحضارية القوية والنضرة التي قادها العرب والمسلمون في كل حقل، والتي تبدى فيها الإبداع الرائق في كل فن.. يقول جون بادو أستاذ الفلسفة في جامعة كولومبا في نيويورك.. يقول - على سبيل المثال-: «وإذا كان التفاعل قد أسفر عن حضارة مثيرة للإعجاب فذة الشخصية فالفضل يعود في ذلك إلى العقيدة الإسلامية التي فجرت طاقات العرب؛ إذ كان الإسلام حاسم الأثر في مسار الإبداع الثقافي»[١].

وبمقتضى هذا السبب (سبب أن عقيدة التوحيد هي نبع الإبداع في الحضارة العربية الإسلامية).. بمقتضى هذا السبب يرفض سلمان بن عبدالعزيز بقوة إسقاطَ مصطلح (القرون الوسطى المظلمة)[٢] على التاريخ العربي الإسلامي.. ولقد

(١) عبقرية الحضارة العربية ص٢٢.

(٢) للأهمية المعرفية والتاريخية لهذه القضية الملتبسة على الكثيرين - من العرب والمسلمين وغيرهم - عقدنا فصلاً خاصاً مستقلا لها: استناداً إلى الفكرة الأصيلة عند سلمان ابن عبدالعزيز.

توصل إلى مقارنة تاريخية ذكية جداً، وهي أن القرون الوسطى المظلمة في أوربا يقابلها القرون السبعة الأولى للحضارة العربية الإسلامية، وهي عصور كانت (مركزاً عالمياً) للتنوير العقلي والمعرفي والثقافي والاجتماعي والعمراني.

ورفضُ إسقاط ذلك المصطلح الأوربي على التاريخ العربي الإسلامي ينبغي أن يضاف إلى (إبداعاته) أيضاً: في التعامل الفكري اليقظ مع المصطلحات.

- ولئن كانت مشكلة العرب والمسلمين الحضارية تتمثل في (انفصال الفكر عن التطبيق) فإن فكر هذا الرجل ليس (تجريدياً) ولا منفصلاً عن التطبيق (سنرى حقيقة ذلك في فصل الإبداع العمراني والحضاري الذي قاده سلمان في الرياض).

إنه الفكر المصحوب بالتطبيق، أو الفكر الذي هو (دليل عمل)، و(خريطة حركة) في الإدارة والعمران.

ومن خلال صحائف الكتاب يتبين القارئ صحة هذا التعبير ودقته.

وثمة محاور ومعطيات وقيم ومبادئ ومقتضيات أخرى: انبثقت منها فكرة الكتاب:

١ - **المحور الأول**: لماذا يهجر الناس ما ينبغي إيلافه هجراناً يجعل الإيلاف الواجب الطبيعي أمراً غريباً؟!.

مثلاً: هل الأصل في العلاقة بين المثقفين ورجالات الحكم أن تكون علاقة جفاء ونكد وتربص وعداوة - ظاهرة أو مكتومة-؟ ومن قال هذا؟.. وماهي القاعدة العلمية الموضوعية التي يستند إليها هذا القول؟.

وللصدق والواقعية حضورهما وحكمهما في هذه القضية؛ فنحن نعلم وغيرنا يعلم أن الكثير من المثقفين والمفكرين في الوطن العربي، والعالم الإسلامي، والعالم كله لهم، علاقات برجالات الحكم على هذا المستوى أو ذاك.

هذه ظاهرة لا يستطيع أحد نكرانها - ومعه عقله وضميره - ولقد اقترنت هذه الظاهرة بظاهرة أخرى وهي أن الناس قد تعودوا على أن تكون هذه العلاقة (مكتومة) أو (خجلى) سواء أكان هؤلاء الناس هم أصحاب العلاقة المباشرة المعينة، أم كانوا رأياً عاماً.

ولماذا التعود على أن تكون العلاقة مكتومة بين المثقفين ورجالات الحكم؟ هل هي (علاقة سرية) يجب كتمانها أبداً؟

أو هي بالضـرورة (تواطؤ) على الإثم والعدوان يخشـى أن يفتضح؟!

أليس ثمـة علاقة بين المثقفين ورجال الأعمال؟.. نعم ثمة علاقة قوية وواسـعة لا تستغرب ولا تسـتنكر.. كذلك ينبغي أن يكـون الحال بين المثقفين ورجـالات الحكم.. فرجال الأعمال مشـتغلون بالمال والاقتصـاد في حين أن رجـالات الحكم هم (رجـال أعمال مشـتغلون بالسياسـة والحكم).. فالاقتصـاد (عمل) وكذلك الحكم (عمل).

بهذا التصور والفهم نشأت علاقة بيني وبين الأمير سلمان ابن عبدالعزيز منذ ما يقرب من عقدين من الزمن.

وهي علاقة فكرية علمية ثقافية في صميمها.

وهذا ما ننادي بإيلافه ومباشرته، دون عُقد ولا وسوسة.

وقـد يقـال: إن علاقـة المثقفيـن والمفكرين مـع رجالات الحكم مشوبة أو معرضة لـ (الإملاء) دوماً بينما يجب أن يكون المثقف أو المفكر متحرراً من كل إملاء على الدوام.

وهذا تصور وهمي ناشئ عن الحكم على الأمور من بعيد أو بسـوابق سيئة ليس من المنهج الصحيح تطبيقها على كل حالة وفي كل الأحوال.

ومن خلال التجربة الطويلة نسبياً لم أشعر في يوم من الأيام بهذا الإملاء، بل كثيراً ما كنت أتحاور مع سلمان لكي أستطلع رأيه بحكم موقعه في موضوع من الموضوعات، فيرفض ويقول: «ليكن الرأي نتيجة البحث لا قبله.. خذ حريتك وتحمل مسؤوليتك».. ومع (حرية) البحث والدراسة والرأى: لا يكون هناك مجال للإملاء؛ لأن الحرية والإملاء نقيضان لا يجتمعان.

ذاك هو **المحور الأول**: محور (الوضوح) في العلاقة بين المثقف ورجل الحكم.

٢ - **المحور الثاني** هو: (تجديد الوعي بمفهوم الأخوّة ومقتضاها).. فلعوامل كثيرة ينسى الناس رابط الأخوّة الذي يربط بين الحاكم والمحكوم في الدولة المسلمة، وهذا النسيان ذهول عن منهج الإسلام الذي يقيم علاقة الأخوّة بين المسلمين جميعاً في مختلف مستوياتهم، بما تتضمنه الأخوّة من معاني المحبة والمودة والموالاة والتعاون.. فرجالات الدولة مشمولون بقول الله جل ثناؤه:

أ - ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ...﴿١٠﴾﴾[١].

ب- ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا...﴿١٠٣﴾﴾[٢].

(١) الحجرات: ١٠.

(٢) آل عمران: ١٠٣.

ورجالات الحكم المسلمون مشمولون بقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

أ- «**المسلم أخو المسلم**»[١].

ب- «**وكونوا عباد الله إخواناً**»[٢].

ج - «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**»[٣].

د - «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[٤].

ولقد انطوى صدري على أن سلمان بن عبدالعزيز أخ صدوق حميم عظيم[٥].

٣ - **أمّا المحور الثالث** فهو (التجانس الفكري) بين سلمان وبين مؤلف هذا الكتاب، ولا سيما في أمهات المسائل كما سبقت الإشارة إلى ذلك:

لقد انتظم هذا الكتاب (سلمان بن عبدالعزيز: الجانب الآخر) الفصول والمباحث الآتية:

١ - المقدمة.

(١، ٢، ٣، ٤) البخاري ومسلم.

(٥) هذا كذلك من الجوانب المكتشفة في شخصيته مما ينبغي أن يعرفه الناس.

٢- في الامتداد الأعظم للملك عبدالعزيز.
٣- الخصائص العشر المشتركة بين الملك عبدالعزيز وابنه سلمان.
٤- المفهوم التنويري للدين: الإبداع في ظل لا إله إلا الله (لنفكر ونبدع في ظل لا إله إلا الله).
٥ - الإبداع في ظل لا إله إلا الله.
٦- النظرية في مجال التطبيق: الإبداع العمراني الذي قاده سلمان في الرياض.
٧- موجز قصة الابداع العمراني الحضاري في الرياض.
٨ - سلمان: الناقد الحضاري.
٩- السياسة.. والإنسانية: فن الحكم.. والعمل الخيري
أ - فن الحكم.
ب - مسيرة نصف قرن من الريادة في العمل الخيري والإنساني.

شكر وتقدير:

تقتضي الأمانة العلمية كما يقتضي خُلق الشكر أن نشكر الأستاذ/ عساف بن سالم أبو ثنين.. فثمة معلومات ومواقف مسجلة في هذا الكتاب مصدرها الوحيد الأخ عساف، ومن هنا أشرنا إليه في فهرست الكتاب بأنه (المصدر الحي الناطق)، ومما مكَّنه من أن يزودنا بمقادير جزيلة ومفيدة من المعلومات والمواقف عن الأمير سلمان بن عبدالعزيز أنه وثيق الصلة

بـه: كتلميـذ نابه من تلاميذه، وأنه لصـيق به جـداً في الحياة اليومية، وأنه رفيق في الأسـفار الرسـمية.. وهـو المدير العام لمكتبه الخاص.

شكراً للأخ عساف أبو ثنين.

زين العابدين الركابي